علاقات العاصمة الآشورية نينوى بمدينة حران في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق .م)

د. إيمان هاني العلوش

كلية الآثار- جامعة الموصل

The Relations of the Assyrian Capital of Nineveh with the City of Harran during the Neo Assyrian Period (911-612 B.C)

Abstract

The Assyrian period (911-612 BC) is one of the most ancient times in the history of ancient Iraq in general and Assyria in particular. The Assyrians had a significant and direct impact on the ancient Near East with their accomplishments in the fields of military conquests, urban planning and economic development. The Assyrian achievements spread along the geographical boundaries of the Assyrian Empire and the neighboring countries. These Assyrian achievements had a great impact on the definition of the long Assyrian history which ended with the fall of the Assyrian capital "Nineveh" in 612 BC by the Babylonian-Medi alliance. There have been many studies and researches over the history of the Assyrian Empire from various political, cultural and economic aspects. They have considerably contributed to the continuous excavations and modern readings of the cuneiform texts and substantially enriched the relevant researches with a lot of details. What concerns us in this research is the Assyrian relations in the modern Assyrian era in North and North-West of Mesopotamia, the area referred to by many researchers as the Upper Euphrates. This study is intended to investigate the relationship between the Assyrian capital Nineveh and the city of Harran on various political, religious and economic dimensions drawing on the cuneiform

texts from contracts, royal letters and the results of archaeological excavations.

Though Harran appeared as a big city early in the third millennium BC, its prominent territorial and strategic significance was only evident in the first millennium BC, especially in the Assyrian and Babylonian modern era. The ambitions of the kings during that period to take control of the city of Harran noticeably increased due to its geographic location, scarcity, and welfare. Archaeological excavations proved that Harran was a great city and its strategic geographic location made it a target for conquest and occupation by the Akkadian, Babylonian, Assyrian, Medieval kings. Harran had an observable value in terms of religion. It was mentioned in the Old Testament as the city of Abraham, PBUH. In addition, the Assyrian kings of the first millennium BC considered the city the main center of worship of the god of the moon.

ألمقدمة :

يّعد العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) من أزهى العصور التي مر بها العراق القديم بعامة وبلاد آشور بخاصة ، إذ يعد الآشوريون أحد الاقوام التي أثرت تأثيرا كبيرا ومباشرا في منطقة الشرق الادنى القديم بتوسعاتهم العسكرية ومنجزاتهم العمرانية والحضارية وتعاظم قوتهم الاقتصادية وانتشار منجزاتهم ضمن الحدود الجغرافية لبلاد آشور أو الدول والأقاليم المجاورة لها أو البعيدة عنها . وكان لتلك المنجزات الآشورية التي خلفوها الأثر الكبير في التعريف بتأريخهم الطويل الذي انتهى بسقوط عاصمتهم نينوى سنة ٦١٢ ق.م على يد التحالف البابلي- الميدي.

وهناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت تأريخ الامبراطورية الآشورية من مختلف جوانبها السياسية والحضارية والاقتصادية وما قدمته التنقيبات المستمرة والقراءات الحديثة للنصوص المسمارية التي أسهمت في إغناء الباحثين بالكثير من التفاصيل ، فقد ارتأينا ان نتطرق في هذا البحث الى منطقة تقع في الجزء الشمالي والشمالي الغربي من بلاد الرافدين التي اطلق عليها الباحثون في مؤلفاتهم باسم أعالي الفرات حيث تضم العديد من الأقاليم التي سيطر عليها الآشوريون أهمها مدينة حران التي لعبت دورا مهما في بلاد آشور إبان الألف الاول قبل الميلاد من الناحية الاقتصادية والسياسية والدينية كما ورد في الحوليات والرسائل الملكية الآشورية [١] .

وقد كانت معظم الأقاليم التي سيطر عليها الآشوريون موحدة في ظل المملكة الآشورية ولم يكن هناك تمييز فيما بينها ، حيث وردت في العديد من الوثائق الآشورية أسماء شخصية من غير الاشوريين شغلوا مناصب عليا في الدولة [٢].

ولعل المقصود في هذا البحث دراسة العلاقة بين العاصمة الآشورية نينوى ومدينة حران بمختلف أوجهها السياسية والدينية والاقتصادية، حيث ان اتساع رقعة المملكة الآشورية في العصر الآشوري الحديث فرض عليها اقامة علاقات دولية مع البلدان والأقاليم المجاورة لها ، وقد عكست هذه العلاقات وتطورها استقرار بلاد آشور وفق ما يتصف به كل بلد أو إقليم من قدرات وحاجة كل منهما للآخر، لتتحقق بفعل ذلك الوحدة الثقافية والحضارية بين البلدين ، ولأيمكن التحدث عن العلاقات بين العاصمة الآشورية نينوى ومدينة حران من دون الرجوع إلى الوصف الجغرافي لمسرح الأحداث .

الموقع الجغرافي :

يجمع معظم الباحثين المعنيين بدراسة تأريخ الحضارات القديمة ان البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي لهما الاثر الكبير في قيام الحضارات وتفعيل العلاقات بين الدول سواء اكانت متجاورة أم غير متجاورة ،وقد كانت بلاد آشور بأقسامها وسهولها الزراعية تؤلف وحدة جغرافية متكاملة مع بعض الاختلافات في التضاريس بين قسم وآخر جعلها بلدا زراعيا شهد ظهور أولى القرى الزراعية في العالم القديم آنذاك إلا أنها كانت تفتقر إلى الكثير من المواد الخام لقيام دولة مزدهرة قائمة على اسس متينة ،وكانت العاصمة الآشورية نينوى التي وردت بالسومرية NINA وبالاكدية ninua [٣] تتمتع بموقع جغرافي مهم فهي تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة فضلا عن تمتعها بموقع استراتيجي مميز كونها تتوسط العواصم الآشورية الثلاث (آشور ، كلخ ، خورسباد) ، عند ملتقى الطرق التجارية التي تصل بلاد بابل ببلاد الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط واسيا الصغرى فضلا عن أن أغلب العواصم الآشورية تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة لتكون صمام امان للأشوريين من الاقوام القادمة من الشرق ومن الشمال حتى لا يكون هناك حواجز تمنع وصول الامدادات اللازمة لتجهيز الحملات العسكرية من مؤن [٤] .

أما مدينة حران ،التي تقع إلى الشمال الغربي من بلاد الرافدين بجوار الحدود السورية – التركية قرب منابع نهر البليخ أحد روافد الفرات على بعد ٤٠ كم جنوب شرقي أورفه التركية و٨٠ كم من مصب البليخ في الخابور [٥] ، فهي تقع على طول طريق التجارة بين البحر الأبيض المتوسط ومنطقة السهول الوسطى من نهر دجلة وتقع مباشرة على الطريق من الجهة الشرقية لانطاكية حتى نصيبين و نينوى وصولا الى بابل . وقد تكررت الإشارات الى مدينة حران في مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوثائق التاريخية المتعلقة ببلاد آشور بوصفها إحدى المدن الآشورية

المهمة التي تمرّ بالطريق السريع من دمشق إلى نينوى حيث عرف الملوك الآشوريون اهمية مدينة حران الاستراتيجية لذلك ورد ذكرها في علاقاتهم السياسية وحملاتهم العسكرية أكثر من مرة [٦] .

وقد اشتهرت مدينة حران بأنها موطن النبي ابراهيم عليه السلام بحسب ما ورد في التوراة في سفر التكوين، حيث نزح اليها النبي ابراهيم عليه السلام وعائلته اثناء رحلتهم إلى بلاد الشام بعد خروجهم من مدينة أور التي تقع جنوب بلاد الرافدين [٧] كما اشتهرت حران عبر تأريخها الطويل بأنها مقر عبادة الإله سين إله القمر وزّين معابدها اكثر من ملك من الملوك الاشوريين ،فضلا عن انها المركز الرئيس للتجارة في العالم ، حتى ان ياقوت الحموي وصفها في معجم البلدان بأنها **"مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم وأنها قصبة ديار مضر"** [٨] .

وقد كانت لمدينة حران اهمية كبيرة في العصور القديمة ، حيث يرجع تأريخ المدينة الى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد تقريباً عندما كانت مدينة مستقلة تحكمها سلالة محلية ملكية [٩] وذلك بحسب ما جاء في ارشيفات أيبلا [١٠] ، وقد كشفت نتائج التنقيبات الأثرية التي قام بها علماء الآثار الانكليز والأتراك في السنوات ١٩٤٧-١٩٥٠ في حران عن وجود أنواع من فخار يعود الى عصر فجر السلالات الثاني والثالث (٣٠٠٠-٢٥٠٠ ق. م)، مما يشير الى بداية الصلات بين حران وبلاد الرافدين وقد نشر عدد من البحوث والمقالات بهذا الخصوص[١١] . ومع ذلك نجد أن المعلومات شحيحة للغاية عندما يتعلق الأمر عن أقرب فترة زمنية لنشوئها، ولكنه بدا واضحا لأول مرة في رسائل مملكة ماري(٢٩٠٠ ق.م) تقريباً على الفرات الاوسط ، وهي رسائل كانت بين الملك الاشوري شمشي-ادد الاول ١٨١٢-١٧٩٧ ق.م وولده يسمخ-ادد أن حران كانت في ذلك الحين مدينة تابعة للملكة الآشورية بوصفها ممر تجاري مهم لموقعها المثالي [١٢] .

والاصل اللغوي لاسم مدينة حران متأتٍ من وظيفة المدينة وموقعها الجغرافي ،فقد وردت بالصيغة السومرية URU.KASKAL او KASKAL.KI وبالاكدية بصيغةHarranu وتعني الطريق أو رحلة تجارية أو جولة عمل أو عمل تجاري ،كما جاء في النصوص المسمارية بانها مكان الاعمال والتبادل الاقتصادي [١٣]،واستوطنتها الأقوام الآرامية في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد ،حيث حصل صراع بين الاشوريين والاقوام الجزرية الآرامية التي بدأت بالانتشار في منطقة اعالي الفرات حوالي ١٢٠٠قبل الميلاد تقريباٍ وحاولت تأسيس دويلات ورد ذكرها في أخبار الملوك الاشوريين الذين ضيقوا الخناق عليها وحالوا دون قيام ممالك كبرى في تلك المنطقة ،منها حران (فدان آرام) [١٤] .

وهناك عدة جوانب سوف نتطرق اليها توضح مدى ارتباط العاصمة الآشورية نينوى بمدينة حران ، ولاسيما في العصر الآشوري الحديث .

الجانب الاقتصادي:

تمّيزت مدينة نينوى وعبر تأريخها الطويل بأنها بلدُ زراعيُ بالدرجة الاساس ،وتعد أراضيها من مناطق انتاج الحبوب المهمة والكافية للاستهلاك المحلي ، الا ان ذلك لم يكن كافيا لعملية البناء الحضاري للآشوريين في العصر الآشوري الحديث وانما احتاجوا الى توافر المواد الأولية والخامات بجميع أصنافها لبناء دولة متحضرة ومزدهرة ،فمتطلبات الحياة استدعت بالضرورة توافر مواد لا يمكن لبيئة على انفراد أن توجدها جميعا فكان على الآشوريين ايجاد بدائل في الأقاليم الخارجية المجاورة لها ،كما وقد سهل اتساع الامبراطورية الآشورية قد سهل الحصول على الكثير من المواد الخام من مختلف ارجاء الامبراطورية كالأخشاب والمعادن والاحجار الجيدة فضلاً عن المواد الخام المختلفة كالحديد والمنسوجات [١٥] وكانت حران في الألف الأول قبل الميلاد مركزاً تجارياً مزدهراً يتميز بالغنى ووفرة البضائع كما هو مبين في سجل ألتعاملات ألتجارية بين نينوى وحران ألذي عثر عليه في تل قوينجق في نينوى:

1GÚ.UN 6 MA.NA DÀG.GAZ NA4 {XXX} la ba-si-li ina ŠÀ 1 MA.NA 10 GÍN [KUG.UD ina ŠU.2 m ba-la-si DUMU.KÁ. DINGER.RA.KI ina qa-ap-si URU.KASKAL la-qi [16].

"وزنة واحدة ،٦٠ مانا كتل حجر بسعر ١ مانا و ١٠ شيقلات من الفضة في يد بلاسِ ابن مدينة بابل ،استلم في وسط مدينة حران" .

وفي نص آخر :

2 TÚG.GADA .MEŠ ina ŠÀ 1 MA.NA 23 GIN.MEŠ ina ŠÚ.2 LÚ .ar-ma-a-a šu-u ina URU.KASKAL la-qi[17]

" ٢ ملابس من الكتان بثمن ١ مانا و٢٣ شيقلاً من الفضة في يدي(عهدة) رجل آرامي ، ذلك (الرجل) استلم في مدينة حران (الثمن)".

وعليه فقد تمتع الموقع الجغرافي المحصور بين مقاطعة حران والعاصمة الآشورية نينوى بأهمية سياسية واقتصادية كبيرة اذ اصبحت المنطقة تتحكم بممرات طرق النقل التجارية المارة ما بين جنوب بلاد الرافدين وعيلام من جهة وشمال سوريا والاناضول والبحر المتوسط من جهة أخرى[١٨] ، حيث سلكت القوافل التجارية التي خرجت من العاصمة نينوى عدداً من الطرق كان اشهرها الطريق الذي يبدأ من نينوى ثم يمر بجزيرة بن عمر[١٩] وصولا الى عدد من المدن ويستمر حتى حران ، فقد كان طريق حران من الطرق المهمة التي ساعدت في انتعاش الحركة

التجارية في العاصمة الآشورية نينوى وبقية العواصم الآشورية مما دعا الملوك الاشوريين إلى ألقيام بعدة حملات عسكرية للسيطرة على إقليم حران والمدن الواقعة في أعالي الفرات[٢٠].

ومن الأدلة النصية الهامة الأخرى ذات العلاقة بالأنشطة الاقتصادية والتي توضح عمق العلاقة بين العاصمة الآشورية نينوى ومدينة حران ما يطلق عليه بنصوص حران الآشورية أو نصوص التعداد الآشوري لمدينة حران، وألتي عثر عليها في تل قوينجق الذي يقع داخل العاصمة الآشورية نينوى وقد تم هذا الاحصاء أو التعداد بناءً على طلب الملك الآشوري (شروكين ٧٠٥-٧٢٢ ق.م) سرجون الثاني من نائبه في حران وكانت الغاية من هذا التعداد ضرائبية بالدرجة الاولى وقد ضم البيانات ألآتية : رجال ، نساء ، بنات ، بنين ،عبيد، إماء، الى جانب ما يملكه من بساتين وأراضي وحيوانات ومساحة كل قطعة فضلاً عن العبيد والاماء العاملين في تلك البساتين[٢١] :

^{m}se-e-nu-ri LÚ . ENGAR 15 ANŠE A.ŠÀ 7 ar-šú ina ŠÀ PAB URU. DU6 –li-i-ni qa-ni URU .KASKAL [22]

"سينوري الفلاح ١٥ هكتاراً من الارض (و)٧منها مزروعة . المجموع، (في) مدينة تل – ليني بالقرب من حران" .

ومثال آخر:

1 GIŠ.SAR za-ma-ri Ú.SAR ina URU .KASKAL 3-me kan-ni za-am-ri ina ŠÀ 1-me-50 GIŠ-şar-bu-tú GIŠ.hi-lu-pu PAB 4-me-50 PAB šá ^{m}PAB.BÀD ^{m}šá - ^{d}PA-Šu-u. [23]

" ١ بستان فاكهة وخضراوات في مدينة حران ٣٠٠ شجرة فاكهة فيه١٥٠ شجرة بلوط (و) شجرة صفصاف المجموع ٤٥٠ عائد لـ نابو – دوري ابن شانابشو" .

وبناءً على الأدلة النصية الخاصة بتعداد حران ، تبيّن أن الاراضي الخاصة بمدينة نينوى هي ليست الوحيدة الخاضعة لنظام الضرائب ، وانما شملت أيضا جميع أراضي المملكة التابعة للعاصمة الآشورية نينوى ولو لم تكن حران جزءاً لا يتجزأ من الامبراطورية الآشورية لما أقدم الاشوريون على القيام بتعداد سكاني في المدينة .

ومن الناحية الزراعية فإن العلاقة وثيقة بين حران ونينوى ، فالمنطقة في اقليم حران تتمتع بسقوط كميات كافية من الأمطار تكفي للزراعة فضلاً عن مصادر المياه الطبيعية المتمثلة بمياه نهر الفرات وروافده ومياه العيون والينابيع ، وقد انعكست هذه العوامل على اهتمام السكان بالزراعة والاراضي والبساتين [٢٤]، ويمكن ان نستنتج ذلك من قوائم حران الآشورية حيث ورد في التعداد لحران اعداد كبيرة جداً من البساتين والاشجار المثمرة ، كما في النص ألآتي :

4-lim ina URU.sa-ru-gi PAB 6-lim GIŠ.til-lit 1 GIŠ.SAR za-ma-ri qa-ni URU.KASKAL PAB IGI.LAL. (25)

"٤٠٠ في مدينة ساروجي المجموع ٦٠٠٠ من اشجار الكروم ١ بستان فاكهة قرب مدينة حران .الكل تم معاينتها "

وفي نص أخر من مدينة نينوى تعاقد ريماني-ادد سائق العربة العائدة للملك شور- اخي- ادينا (اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ق.م) لشراء حقل وبستان في مقاطعة حران جاء فيه :

[xxPAB] 8 ZI.MEŠ E [X ANŠE.A.ŠÀ] [GIŠ.SAR X l]im GIŠ til-lit É ad-ru GIŠ MURUB ina KUR .na-gi-i šá URU.KASKAL u piš-ma…… (26)

"المجموع ٨ أشخاص ، عقار من حقل (مساحته)xxxحمل حمار بستان (يضم)الفxxx من أشجار الكروم وبيت وبيدر ومحراث الارض في بلاد ناجي (و) العائد لمدينة حران ،تعاقد .... "

وفي إحصاء أو تعداد حران نرى كمية الأشّجار المثمرة المزروعة في تلك المنطقة ، والتي شاعت زراعتها عند الاشوريين ولاسيما في الالف الاول قبل الميلاد، حيث كانت بساتين مدينة نينوى مزروعة بالعنب كما ورد في اسطوانة فخارية من نينوى للملك الاشوري سن-آخي-ريبا (٦٠٤-٦٨١ق.م) يذكر فيها الاشجار المثمرة والنباتات العطرية وكذلك أشجار العنب وأشجار زيت الزيتون [٢٧] مما يدل على ان هناك ترابطاً بين نينوى وإقليم حران في مجال الزراعة .

i-na tè-em DINGIR-ma qè-reb GIŠ.KIRI6.MEŠ GIŠ.GIŠTIN gi-mir GURUN GIŠ.se-er-du ú ŠIM.HI.A. (28)

"بمشيئة الاله ، قرب الاعناب وكل انواع اشجار الفاكهة، اشجار الزيتون ، والاشجار العطرية المزهرة".

وتعد أشجار العنب المنفذة على المنحوتات الجدارية الآشورية أكبر دليل على زراعتها من الآشوريين ،ففي منحوتة تعود للملك(آشور-بان-ابلي ٦٦٩-٦٤٠ ق.م) آشور بانيبال يظهر فيها جالساً على أريكة وأمامه زوجته تحت عريش عنب محملا بعناقيد مدلاة مع أشجار الصنوبر [٢٩] .

الجانب السياسي :

اما في المجال السياسي فقد شنّ الملوك الآشوريون حملات عسكرية متتالية من أجّل السيطرة على شبكة الطرق التجارية واندفعوا بعيدا خارج حدود بلادهم، ولاسيما تلك المدن والأقاليم التي تقع على مفترق الطرق التجارية ، والتي تحتوي على مصادر المواد الخام الضرورية و التي لا تتوافر في البيئة الطبيعية لبلاد آشور [٣٠] .ومنها مدينة حران ، وهناك أدلة تؤيد أنّ حران

وعلى اقل تقدير مقاطعة تابعة للدولة الآشورية في العصر الاشوري الحديث ، حيث امدتنا بعض النصوص والحوليات الملكية الآشورية بمعلومات تفيد ان حران مقاطعة آشورية كما جاء في كتابات شلمانو- اشريد ٨٥٨-٨٢٣ ق.م (شلمنصر الثالث) وذلك في سنة حكمه الحادية والثلاثين عندما أوعز لقائد جيوشه ان يجمع الإتاوة من مدن مختلفة منها مدينة حران جاء فيها :

"زحف نحو بلادGilzanu واستلم الاتاوة منupu ال كِلزانينَ الماتّيين سكان مدينة gaburis وبلاد حران"[٣١]

كذلك عمد الملك شروـكين ٧٢٢-٧٠٥ ق.م (سرجون الثاني) الى منح حران امتيازات منها التحرر من أداء الخدمة الالزامية في الجيش الآشوري ، فضلا عن إعفائها من دفع الجزية لخزينة الدولة الآشورية :

"لقد تعهدت بإصلاح مدينة سبار،نيبور، بابل، وبورسبا : صنعت عملاء جيدين في كلّ الأنحاء، الغيت الخدمة الالزامية لـــمدينة الدير وكولاب وكيسك ، ونيمد ولوكودا ،وحصلت على تأييد شعبهم ، حررتهم من دفع الإتاوة لـ مدينة اشور ومدينة حران للأيام القادمة " [٣١] .

يشير هذا النص الى ان مقاطعة حران ،كانت واقعة تحت النفوذ الآشوري في العصر الآشوري الحديث وإلا لما استطاع الملوك الاشوريون التحكم بمقدراتها وجلب اناس من غير الحرانيين واسكانهم في حران.

الى جانب ذلك تظهر لنا رسالة اخرى للملك شروـكين الى انه تمكن من اخضاع السامرة لنفوذه، وهي مدينة تقع في فلسطين وتعدّ من مدن العبرانيين الرئيسة وكانت تابعة للبلاط الآشوري أثناء حكم توكلتي-ابل-ايشر الثالث ٧٤٤-٧٢٧ ق.م (تكلا- تبليزر الثالث) والتي اعلنت تمردها في عام ٧٢٧ ق.م ورفضت دفع الجزية الى ان قام الملك شروـكين بالسيطرة عليها وقام بترحيل القسم الأكبر من سكانها إلى مناطق عديدة منها مقاطعة حران حتى لا يعودوا الى التمرد والعصيان مجدداً[٣٢] .

الجانب الديني:

و الذي يؤيد ما ذهبنا إليه ان مملكة حران وعلى مدى تاريخ العصر الآشوري الحديث على اقل تقدير كانت تحت حكم الدولة الآشورية وملوكها بشكل مباشر ،أنهم قدسّوا عبادة الإله سين Sin اله القمر في مدينة حران وعدها من المراكز الدينية المهمة في منطقة بلاد اشور وكان لهذا الاله اهمية خاصة في بلاد الرافدين بشكل عام وقد عبده السومريون واطلقوا عليه اسم ننار في حين سماه الاكديون والبابليون والآشوريون الاله سين [٣٣] ومما يدل على قدسية هذه المدينة وهذا الإله

لدى الآشوريين وعمق العلاقة بينهم ،معاهدة آشور- نيراري الخامس ٧٥٥-٧٤٥ ق.م مع ماتع- ايلو ملك ارباد :

ina qi-bit ^{m}aš-šur ERIN.GABA MAN KUR aš-šur a-na KUR .šu Du-ku-ni ^{m}ma-ti-i-DINGER a-di GAL.MEŠ-Šú Á.KAL.MEŠ-šú GIŠ.GIGER.MEŠ-šú a-na ga-mur-ti ŠÀ-bi-šú la É-ni la DU-ku-ni ^{d}30 EN GAL-u a-šib URU.KASKAL a-na ^{m}ma-ti-i,-DINGIR DUMU [.MEŠ-šu] GAL.MEŠ-šú UN. MEŠ KUR-šú SA HAR.ŠUB.BA-a GIM na-ha-lap-ti li-hal-lip EDIN li-ir-pu-du a-a TUK-šú-nu re-e-mu (34)

" إذا ذهب جيش الآشوريين للحرب بقيادة اشور-نيراري ملك آشور ومعه ماتُ-ايلو ، مع إداراته ، قواته، وسائقي عرباته، وهم ليسوا بكامل ولائهم .... فعسى الإله سين، السيد العظيم ، الساكن مدينة حران ،أن يجعل الجذام يغطي اجسام ماتع –ايلو (و) ابنائه وكباره وشعبه بلاده (مثل) العباءة أو الرداء وعسى أن يهيموا في ألعراء ، و لا يكون هناك رحمة لأجلهم..... "

وفي معاهدة الملك الآشوري (اسر حدون) اشور-آخي-دان ٦٩٠-٦٨٠ ق.م مع خمباريش Humbareš حاكم اقليم Nahšimarti وأولاده و سكان المملكة الآشورية بخصوص تعيين ابنه اشور بانيبال ولياً للعهد على بلاد آشور وابنه الآخر شمش –شموكن ولياً للعهد على بابل، وبعد الثناء وتمجيد الاله اسرحدون وبحضور جميع الآلهة في بلاد الرافدين أقسم كل على حدة بتجديد الولاء للملك اسرحدون واعلاء شانه ، بدءاً بالإله اشور الإله الرئيس للآشوريين وسيد البلاد ثم أقسم باقي الآلهة ومنهم الإله سين في حران كما جاء في النص الآتي من مدينة نينوى :

^{d}aš-šur AD DINGIR-MEŠ EN KUR.KUR ti-tam-[ma-a ^{d}a-num ^{d}EN.LÍL ^{d}É.A MIN ^{d}30 ^{d}šá-maš ^{d}IM ^{d}AMAR.UTU MIN ^{d}AG ^{d}PA.TÚG ^{d}IB ^{d}U.GUR MIN ^{d}NIN.LÍL ^{d}še-ru-u-a ^{d}be-lit—DINGIR-MEŠ MIN ^{d}15 ša URU.NINA.KI ^{d}15 ša URU.arba-ìl MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.ŠÀ—URU MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.NINA.KI MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.kal-ḫa MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.arba-ìl MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.kàl-zi MIN DINGIR-MEŠ DÙ-šú-nu ša URU.KASKAL MIN. (35)

" أقسم الإله آشور ابو الآلهة سيد البلاد الإله آنو الإله انليل الإله أيا الإله سن ، الإله شمش ، الاله أدد ، الإله مردوخ الإله نبو ، الإله نوسكو ، الإله ،اوراش ، الإله نركال الإله ننليل ، الإله شيروا ، الإله بيت ايلي الإلهة عشتار العائدة لمدينة نينوى ، الإلهة عشتار العائدة لمدينة اربائيل جميع الآلهة العائدة لمدينة انار جميع الآلهة العائدة لمدينة نينوى جميع الآلهة العائدة لمدينة كلخو جميع الآلهة العائدة لمدينة كلزي جميع الآلهة العائدة لمدينة حران "

فضلاً عن ذلك فقد نظر البلاط الملكي الآشوري في قضايا أو صفقات قانونية تخص عمليات بيع وشراء في العاصمة الاشورية نينوى تتضمن شروط جزائية مجحفة بحق الناكل ،منها للإله سين في حران :

man-nu ša ina-urkiš u ma-te-me i-za-qu-pa-ni GIL.MEŠ-u-ni 2 MA.NA KUG.UD 2MA.NA KUG.GI ina bur-ki ^{d} NIN.GAL GAR-an 4 ANŠE.KUR.RA BABBAR.MEŠ ina KI.TA ^{d}30 a-šib URU. KASKAL i-rak-kas (36)

"من الذي في المستقبل أو في أي وقت ما يقيم شكوى (او) يكسر الاتفاق فسوف يكرس ٢ مانا فضة ، ٢ مانا ذهب في حضن الاله نِكَّل(سين) (و) أربعة احصنة بيضاء عند قدمي الاله سين الساكن في مدينة حران ".

وعلى ألرغم من ظهور حران في وقت باكر من الألف الثالث قبل الميلاد ، إلا أن اهميتها الكبرى ظهرت في الألف الأول قبل الميلاد ، ولاسيما في الحقبة الاشورية والبابلية الحديثة ،وذلك لاهتمام الملوك في تلك الفترة بمدينة حران لقدسيتها ولموقعها الجغرافي.

واخيرا وبعد سقوط العاصمة الاشورية نينوى في زمن آخر ملوكها (سن-شار-اشكن) عام ٦١٢ ق.م عندما اجتمع عليه التحالف الميدي –الكلدي وعبرا معا الى ضفة دجلة اليسرى حيث العاصمة الآشورية وعسكروا قبالة نينوى مدة ثلاثة اشهر انتهت بالهجوم عليها ونهبت اموالها وخربت عمائرها ومن ثم تم حرقها مما اضطر ملكها(سن-شار-اشكن) ان يلقي نفسه في النيران ليموت حرقا ، وتمكن الأمير آشور- ابلط الثاني من أن ينجو من تلك المجزرة ويهرب باتجاه حران التي كانت واحدة من معاقل الدولة الآشورية والتي تدار من قبلهم بشكل مباشر، وهناك في حران جمعت بقايا فلول الجيش الذي انسحب معه ونصب نفسه ملكا في حران وحاول ان يعيد امجاد الامبراطورية الاشورية وطلب المساعدة من حلفائه وأصدقائه في المنطقة بشكل خاص من ملك مصر ،وبالفعل استجابوا لطلبه الا ان الجيش الكلدي لم يمهلهم كي يعيدوا تنظيم أنفسهم وانضمام حلفائهم اليهم بل عاجلهم في معركة فاصلة كانت الأعنف والأقوى على شاطئ الفرات عام ٦١٠

ق.م وبذلك خسر الاشوريون مقرهم في حران بعد خسارتهم للمعركة التي حسمت لصالح الجيش الكلدي بقيادة الملك نبو-بلاصر [٣٧].

الخاتمة :

يتبين لنا من بعد دراسة علاقة العاصمة الآشورية نينوى بمدينة حران في ألألف الأول قبل الميلاد بعض الحقائق منها :

١- الموقع الجغرافي المتميز للعاصمة الآشورية نينوى ساعد الآشوريين في ألأتصال مع المدن و الأقاليم المحيطة بهم ومنها موضوع البحث مدينة حران حيث كان للموقع الجغرافي لهذه المدينة اثره البارز في نشأة التجارة وتطورها منذ اقدم عصورها التي ترجع الى عصر فجر السلالات وحتى سقوط نينوى على يد البابليين والميديين عام ٦٢١ ق.م، وقد استثمر سكان بلاد اشور مزايا هذا الموقع ونشطوا في مجال التجارة والاقتصاد وخاصة في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦٢١ق.م)،حيث وردت اخبار حران في الكثير من الحوليات الملكية والنصوص والوثائق اليومية اكثر من مرة على انها المدينة التي يتاجر فيها بالسلع الفاخرة كالملابس وغيرها.

٢- كانت التجارة إحدى الركائز الاقتصادية الهامة في بناء المجتمع الآشوري لذلك حرص الملوك الاشوريون على تأمين المصالح التجارية عن طريق فتح ممرات وطرق تجارية مع الاقاليم المجاورة ، ومنها إقليم حران ،وعملوا على حماية تلك الطرق .

٣- اثبتت التنقيبات الأثرية أن حران مدينة عظيمة يمتد تأريخها لآلاف السنين وموقعها الجغرافي الاستراتيجي جعلها هدفاً للغزو والاحتلال من الأكديين ، البابليين ، الآشوريين ، والميديين.....الخ.

٤ - فضلا عن أهمية حران من الناحية الدينية فحسب ما جاء في العهد القديم ،انها مدينة ابراهيم عليه السلام ، إلى جانب ذلك تحظى بمكانة مهمة لدى الملوك الآشوريين في الألف الأول قبل الميلاد بوصفها المركز الرئيس لعبادة الإله سين إله القمر .

٥- وبموجب الحوليات الملكية والنصوص التذكارية اصبحت حران المعقل الاخير للآشوريين أثناء سقوط نينوى في ٦٢١ ق.م وبعد حصار حران لمدة سنتين سقطت بيد البابليين والميديين .

الهوامش :

[١] - ألراوي، فاروق ناصر، "الأوضاع الاجتماعية "،في موسوعة الموصل الحضارية ، م١،ط١، موصل، ١٩٩١، ص٢٦٤.

[٢] - باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد، ١٩٤٧، ص ٥٤٣.

[٣] -الجميلي ،محمد عجاج ،العواصم الآشورية الاربع –دراسة في تاريخ المدن وتخطيطها- اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ،٢٠٠٨ ،ص ٣٧٤.

[٤] - مظلوم ، طارق عبد الوهاب ، ومهدي ، علي محمد ، نينوى ، بغداد، ١٩٧١، ص١١.

[٥] - للمزيد عن حران، ينظر، الاطرقجي ، رمزية محمد ،حران مدينة لها تاريخ ،بحث مقدم للندوة السابعة في مركز احياء التراث العلمي العربي لسنة ١٩٩١، بغداد ، ١٩٩١ ، ص٣١٧ ، كذلك ينظر : سوسة ، احمد ،تاريخ الحضارة ،ج٢ ،ص٣٧٤ .

[٦] - الاطرقجي ، رمزية محمد ،المصدر نفسه.

[٧] - سفر التكوين: ١١: ٣١.

[٨] - سليمان،سمير غانم ، حران السورية : مدينة الإله القمر ومركز تراكم الإرث الديني ؛ الوثني والتوحيدي (قدس سوريا). ٣/١، الحوار المتمدن-العدد: ٤١٤٠ - ٢٠١٣ ، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات

: CAD, H , p 106 .

[9] - Alfonso, A.,Harran in the III Millennium B.C.,Ugarit, Forschuugen, UF ,20,1988,P1.

[١٠] - ايبلا : الاسم ألمعاصر هو تل مرديخ الواقع على بعد ٥٥ كم جنوب غرب مدينة حلب السورية وقد تبين من خلال نتائج التنقيبات الاثرية ان هذا الموقع استوطن سنة ٣٥٠٠ ق.م تقريباً واستمر السكن فيه حتى عام ٧٠٠ قبل الميلاد ، ينظر:

P, Matthiae ,Ebla An Empire Rediscovered , New York , 1981, pp192-193.

[١١] - علي ، فاضل عبد الواحد ،" حضارة وادي الرافدين : طرق انتشارها وابرز تأثيراتها في بلاد الشام ومصر "، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، العدد) ٦ (، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٥).

[12] Parpola , S ,, Letters from Assyrian and Babylonian Scholars , SAA , Vol , 10 , Finland , 1993, No.26, p.25 .

[13] -The Assyrian Dictionary of the Orienta Institute of the University of Chicago- , H , p 106:b

[١٤] - باقر ، طه ، المصدر السابق ، ص ٥٤٣.

[١٥] - ألأحمد، سامي سعيد" التجارة"، موسوعة الموصل الحضارية ، م ١، ط١، موصل ، ١٩٩١، ص ١٩٦ .

[16] - [16] Parpola , S , Op-cit, No.26, p.25 .

[17] - Ibid .

[١٨] - المحمدي ، زياد عويد ، التطورات السياسية والاقتصادية في اعالي الفرات ما بين (٢٠٠٠-٦١٢ ق.م) ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة، بغداد ، ٢٠١٢، ص٣٢ .

[١٩] - جزيرة بن عمر: تمتد من الحدود العراقية –السورية في الشمال والشمال الغربي الى الجنوب ما بين دجلة من الشرق والحدود السورية من الغرب ، للمزيد ينظر: الجنابي ،صلاح، "جغرافية الموصل ، دراسة في العلاقات الاقليمية "، موسوعة الموصل الحضارية ،م١،ط١، موصل، ١٩٩١،ص٦.

[٢٠] - ساكز، هاري ،قوة اشور، ترجمة عامر سليمان ،بغداد- ١٩٩٩ ،ص١٢٨.

[٢١] - الجميلي ، عامر عبد الله ،المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، دهوك، ٢٠١١ ،٩٦.

[22] - SAA, Vol ,XI, p.127, No. 203

[23] - Ibid

[٢٤] - المحمدي ، زياد عويد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٨.

[25].- SAA, op-cit , p.128

[٢٦] - الاطرقجي ، رمزية محمد، المصدر السابق ،ص ٣١٨.

[27] - Grayson ,k., and, Novotny, J ., The Royal Inscriptions of Sennacherib, King of Assyria (704-681 B.C) ,part 1,Vol .3 , Indiana, 2012, p. 74 .

[28] - Op-cit, p.76.

[٢٩] - الاحمد ، سامي سعيد ، "الزراعة في العصور التاريخية " ، موسوعة الموصل الحضارية ،م١، ط١، موصل، ١٩٩١،ص١٨٠.

[30]- The Royal Inscription of Mesopotamia Assyrian- , Vol.3 .p.178 .

[31] Luckenbill. D. D, Ancient Records of Assyria and Babylonia. Vol. 2 (New York 1926 – 1927), p. 101,No.182..

[٣٢] - علي، قاسم محمد ، سرجون الاشوري (٧٢١-٧٠٥ ق.م) ،رسالة ماجستير ، غير منشورة ،جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ،ص ٦٤-٦٦ .

[٣٣] - علي، فاضل عبد الواحد ، "المعتقدات الدينية " في موسوعة الموصل الحضارية ،م١،ط١، موصل، ١٩٩١،ص٣٠٧ .

[34] Parpola , S , and Watanaba , K, Neo - Assyrian Treaties and Loyalty Oaths , Vol , 2 , Finland , 1988 . No. 2 ,p. 11.

[35] - Ibid , No. 6,p.30.

[36] - Ibid ,No. 98 ,p, 86.

[٣٧] - الجميلي ، محمد عجاج ، ملوك اشور ،منشورات المركز الثقافي الاشوري ، دهوك ،٢٠١٣،ص ١٣٣-١٣٥.